

سورة النحل

٢٥٦ - قوله فيها فى موضعين: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾^(١) [١٢] و [٧٩] بالجمع، وفى خمس^(٢) مواضع: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً﴾ على الوحده، أما الجمع فلموافقة قوله: ﴿مُخْرَجَاتٍ﴾ فى الآيتين؛ لتقع الموافقة فى اللفظ والمعنى، وأما التوحيد فلتوحيد المدلول عليه.

ومن الخمس قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ [١٣]، وليس له نظير، وخص الذكر لاتصاله بقوله: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ [١٣]؛ فإن اختلاف ألوان الشئ، وتغير أحواله يدل على صانع حكيم فما يشبهه شئ، فمن تأمل فيها تذكر.

ومن الخمس: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [١١] و [٦٩] فى موضعين، وليس لهما نظير، وخصتا بالتفكر؛ لأن الأولى متصله بقوله: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [١١]، وأكثرها للأكل، وبه قوام البدن، فيستدعى تفكيراً وتأملاً؛ ليعرف به المنعم عليه فيشكر، والثانية متصله بذكر النحل، وفيها أعجوبة من انقيادها لأمرها، واتخاذها البيوت على أشكال يعجز عنها الحاذق، ثم تتبعها الزهر والطل من الأشجار، ثم خروج ذلك من بطونها لعباباً هو شفاء^(٣)؛ فاقضى ذلك ذكراً بليغاً، فختم الآية بالتفكير.

٢٥٧ - قوله: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا﴾ [١٤] ما فى هذه السورة جاء [على]^(٤) القياس؛ فإن (الفلك) المفعول الأول لترى، و(مواجر) المفعول

(١) فتح الرحمن ص ٢١٧ مسألة (٢)، والنوى (ص ٢٦٦) مسألة رقم (٢٢٥).

(٢) القواعد تقتضى تأنيث العدد لإضافته إلى معدوده المذكور فيقال: خمسة مواضع.

(٣) بالأصل: (هو لها شفاء).

(٤) زيادة [على] للإصلاح.

الثانى، وفيه ظرف، وحقه (التأخير)^(١)، والواو فى ﴿وَلْتَبْتَغُوا﴾ للعطف على لام العلة فى قوله: ﴿لَتَأْكُلُوا مِنْهُ﴾ [١٤]، وأما فى «الملائكة» فقدم ﴿فيه﴾ [١٢]؛ موافقة لما قبله، وهو قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [١٢] فوافق تقديم الجار والمجرور [فيه] على مواخر، ولم يزد الواو على ﴿وَلْتَبْتَغُوا﴾؛ لأن اللام فى ﴿وَلْتَبْتَغُوا﴾ هنا لام العلة، وليس بعطف على شىء قبله، ثم إن قوله: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ﴾ فى هذه السورة، و ﴿فيه مواخر﴾ فى «فاطر» اعتراض فى السورتين يجرى مجرى المثل؛ ولهذا وحد الخطاب فيه، وهو قوله: ﴿وَتَرَى﴾، وقبله وبعده جمع، وهو قوله: ﴿لَتَأْكُلُوا﴾ - ﴿وَتَسْخَرِجُوا﴾ - ﴿وَلْتَبْتَغُوا﴾ [١٤]، وفى «الملائكة»: ﴿تَأْكُلُونَ﴾ - ﴿تَسْخَرِجُونَ﴾ [١٢]، ومثله فى القرآن كثير: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيغُ فِتْرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ [الحديد: ٢٠]، وكذلك ﴿تَرَاهُمْ رُكْعًا سَجْدًا﴾ [الفتح: ٢٩]، ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾^(٢) [الزمر: ٧٥]، وأمثاله، أى لو حضرت أيها المخاطب لرأيت بهذه الصفة، كما تقول: أيها الرجل، وكلكم ذلك الرجل، فتأمل؛ فإن فيه دققة.

٢٥٨ - قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَآذَا أَنْزَلْ (٣) رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ﴾^(٤) [٢٤]، وبعده: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَآذَا أَنْزَلْ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا﴾ [٣٠]، إنما رفع الأول؛ لأنهم أنكروا إنزال القرآن، فعدلوا عن الجواب فقالوا: ﴿أُسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ﴾، والثانى من كلام المتقين، وهم مقرون بالوحى والإنزال، فقالوا: [خيرًا] أى: أنزل خيرًا؛ فيكون الجواب مطابقًا.

و﴿خيرًا﴾ نصب بأنزل، وإن شئت جعلت ﴿خيرًا﴾ مفعول القول، أى قالوا خيرًا، ولم يقولوا شرا كما قالت الكفار، وإن شئت جعلت ﴿خيرًا﴾ صفة مصدر محذوف، أى قالوا قولاً خيرًا، وقد ذكرت مثله ما زاد فى موضعها.

(١) بالأصل: (التأخر).

راجع آبا السعود فى تفسيره (١٦٧/٣)، وانظر فتح الرحمن (ص ٢١٧) مسألة (٣). وفتاوى النوى

(ص ٢٦٦) مسألة رقم (٢٢٦).

(٢) راجع مختصر ابن كثير (٢٣٢/٣) بتصرف.

(٣) ساقطة من الأصل.

(٤) راجع آبا حيان فى البحر المحيط (٥/٤٨٤).

٢٥٩ - قوله: ﴿فَلَيْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾^(١) [٢٩]، ليس له في القرآن الكريم نظير. الفاء للعطف على فاء التعقيب في قوله: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ [٢٩]، واللام للتأكيد، يجرى مجرى القسم موافقة لقوله: ﴿وَلَنِعْمَ دَارَ الْمُتَّقِينَ﴾^(٢) [٣٠]، وليس له نظير، وبينهما: ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾^(٣) [٣٠].

٢٦٠ - قوله: ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ [٣٤] هنا، وفي [الجاثية: ٣٣]، وفي غيرهما: ﴿مَا كَسَبُوا﴾^(٣) [الزمر: ٥١]؛ لأن العمل أعم من الكسب؛ ولهذا قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٤) [الزلزلة: ٧، ٨]، وخصت هذه السورة «بالعمل»^(٥)؛ لموافقة ما قبله، وهو قوله: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٦) [٢٨]؛ ولموافقة ما بعده، وهو قوله: «وتوفى كل نفس ما عملت» [١١١]، وفي [الزمر: ٧٠]، وليس لها نظير.

٢٦١ - قوله: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [٣٥] قد سبق.

٢٦٢ - قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ [٤٩] قد سبق.

٢٦٣ - قوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ قد سبق أيضاً.

٢٦٤ - قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾^(٧) [٥٥]، ومثله

في [الروم: ٨]، وفي «العنكبوت»: ^(٩) ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [٦٦]

(١) راجع ما قاله القرطبي في جامعه (٣٦/١٠).

(٢) راجع التفسير الكبير للفخر الرازي - (٢٦/٢٠)، والطبري (١١٦/١٤).

(٣) مختصر ابن كثير (٢٢٤/٣)، وتفسير أبي السعود (٣١١/٤).

(٤) راجع التفسير الكبير للفخر الرازي (٦١/٣١)، والقرطبي (١٥/٢٠)، وتفسير الخازن (٢٨٠/٤)،

والشهبلي لعلوم التنزيل لابن جزى (٢١٣/٤)، وانظر الفتح (ص ٢١٩) مسألة (٨)، والنووي (ص

٢٦٧) مسألة رقم (٢٢٢٧).

(٥) زيادة للتوضيح لازمة.

(٦) في المطبوعة (تعلمون) وهو تحريف خطير من الطابع.

(٧) تفسير القرطبي (١١٥/١٠)، والطبري (١١٩/١٤)، وفتح الرحمن (ص ٢٢٠) مسألة رقم (١١).

(٨) الطبري (٢٨/٢١)، والقرطبي (٣٣/١٤)، والبحر المحيط لأبي حيان (١٧٣/٧)، ومختصر ابن كثير

(٥٥/٣) بتصرف.

(٩) في أكثر النسخ والأصل: (وتمتعوا) وهو تحريف من الطابعين والناسخين.

باللام والياء، أما التاء في السورتين فيأضمار القول، أى قل لهم: تمتعوا كما في قوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠]، وكذلك: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾^(١) [الزمر: ٨]؛ وخصت هذه بالخطاب لقوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ﴾^(٢) [٥٤] وألحق ما في الروم به^(٣).

وأما في «العنكبوت»؛ فعلى القياس، عطف على اللام قبله، وهى للغائب.

٢٦٥ - قوله: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾^(٤) [٦١]، وفى «الملائكة»: ﴿بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرهَا﴾ [٤٥]، الهاء فى هذه السورة كناية عن الأرض، تقول: فلان أفضل من عليها، ومنها السماء، تقول: فلان أكرم من تحتها، ومنها: الغداة، تقول: إنها اليوم لباردة، ومنها الأصابع، تقول: والذى شقهن خمسا من واحدة، يعنى الأصابع من اليد؛ وإنما جوزوا ذلك لحصولها بين يدى كل متكلم وسامع.

ولما كان كناية عن غير مذكور لم يزد معه الظهر؛ لئلا يلتبس بالدابة؛ لأن الظهر أكثر ما يستعمل فى الدابة، قال عليه الصلاة والسلام: «إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهرًا أبقى»^(٥).

وأما فى «الملائكة» فقد تقدم ذكر الأرض فى قوله: ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [٤٤]، وبعدها: ﴿وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [٤٤]، فكان كناية عن مذكور سابق، فذكر الظهر حيث لا يلتبس.

(١) وردت فى المطبوعة (٨: ٣٠)، والصحيح (٨/٣٩)، وحاشية زاده على الفيضوى (١٩٣/٣)، والتفسير الكبير (٢٤٨/٢٦).

(٢) راجع تفسير القرطبى (١١٥/١٠).

(٣) فى «الروم»: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [٣٣] وألحق بالخطاب، راجع فتح الرحمن (ص ٢٢٠) مسألة رقم (١١)، والنووى (ص ٢٦٧) مسألة رقم (٢٢٩).

(٤) الفتح (ص ٢٢١) مسألة (١٢).

(٥) المقاصد الحسنة للخواوى (ص ٦١٤)، وفيه عن البزار والحاكم فى علومه، والبيهقى فى سنته، وكذا أبو نعيم، والقضاعى والعسكوى، والخطابى وغيرهم.

مسند القطاعى (٢٠٣)، وكشف الخفاء للعجلونى (٢/٢١٧)، والتميز (١٥٢)، والزهد لابن المبارك برقم (١٠٧٨).

قال الخطيب: لما قال في «النحل»: ﴿يُظْلِمُهُمْ﴾^(١) [٦١] لم يقل ﴿على ظهرها﴾؛ احترازاً من الجمع بين الظاءين؛ لأنها تقلّ في الكلام^(٢)؛ وليست لأمة من الأمم سوى العرب.

قال: ولم يجئ في هذه السورة إلا في سبعة أحرف، نحو الظلم، والنظر، والظل، وظل وجهه، والظهر، والعظم، والوعظ، ولم يجمع بينهما في جملتين معقودتين عقد كلام واحد وهو: لو وجوابه.

٢٦٦ (٣) - قوله: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [٦٥]، وفي «العنكبوت»: ﴿مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا﴾ [٦٣]، وكذلك حذف [من] من قوله: [لكيلا يعلم بعد علم شيئاً]^(٤) [٧٠]، وفي «الحج»: ﴿مَنْ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ [٥]؛ لأنه أجمل الكلام في هذه السورة، وفصل في «الحج» فقال: ﴿فَأِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى﴾ [٥]؛ فاقضى الإجمال المحذوف، والتفصيل الإثبات؛ فجاء في كل سورة بما اقتضاه الحال.

٢٦٧ - قوله: ﴿نُنْفِئُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾^(٥) [٦٦]، وفي «المؤمنين» ﴿فِي بُطُونِهَا﴾ [٢١]؛ لأن الضمير في هذه السورة يعود إلى البعض وهو الإناث؛ لأن اللبن لا يكون للكل، فصار تقدير الآية: وإن لكم في بعض الأنعام، بخلاف ما في «المؤمنين»؛ فإنه عطف عليه ما يعود على الكل، ولا يقتصر على البعض، وهو قوله: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَعَلَيْهَا﴾ [٢١، ٢٢]، ثم يحتمل أن يكون المراد البعض؛ فأنت حملاً على الأنعام،

(١) تفسيري القرطبي (١١٦/١٠)، والطبري (٨٦/١٤)، والفتح (ص ٢٢١) مسألة (١٢)، وفتاوى النووي (ص ٢٦٨) مسألة رقم (٢٣٠).

(٢) هذا إن لم تكن غير واردة تماماً.

(٣) أخطأت النسخة المطبوعة في الترقيم المسلسل.

(٤) راجع مختصر ابن كثير (٣٣٦/٢)، والتفسير الكبير للفخر الرازي (٧٢/٢٠)، وفتح الرحمن (ص ٢٢١) مسألة رقم (١٣).

(٥) راجع ما قاله الإمام الفخر الرازي في تفسيره الكبير (٧٢/٢٠)، وهو من أروع الأقوال، وكذا شيخ المفسرين الطبري في التفسير (٩١/١٤)، ثم انظر القرطبي (١٢٤/١٠)، ومجاز القرآن لأبي عبيدة (٣٦٢/١).

وما قيل من أن الأنعام هاهنا بمعنى النعم؛ لأن الألف واللام تلحق الأحاد بالجمع، وفي إلحاق الجمع بالأحاد حسن، لكن الكلام وقع في التخصيص، والوجه ما ذكرت والله [تعالى] أعلم^(١).

٢٦٨ - قوله: ﴿وَبِعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾^(٢) [٧٢]، وفي «العنكبوت»: ﴿يَكْفُرُونَ﴾ [٦٧] بغير ﴿هم﴾؛ لأنه في هذه الآية اتصل: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [٧٢]، ثم عاد إلى الغيبة، فقال: ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [٧٢]، فلا بد من تقييده بهم؛ لثلاث تلتبس الغيبة بالخطاب والتاء بالياء.

وما في «العنكبوت» اتصل بآيات استمرت على الغيبة فيها كلها، فلم يحتج إلى تقييده بالضمير.

٢٦٩ - قوله: ﴿ثُمَّ إِنْ رَبِّكَ لِلَّذِينَ عَمَلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾^(٣) ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنْ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٤) [١١٩]، كرر (إن)، وكذلك في الآية الأخرى: ﴿ثُمَّ إِنْ رَبِّكَ﴾؛ لأن الكلام لما طال بصلته أعاد إن واسمها وثم، وذكر الخبر، ومثله: ﴿أَيُّدِعُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥] أعاد إن واسمها لما طال الكلام.

٢٧٠ - قوله: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا﴾^(٥) [١٢٧]، وفي «النمل»: ﴿وَلَا تَكُنْ﴾ [٧٠] بإثبات النون، هذه الكلمة كثر دورها في الكلام، فحذف النون منها تخفيفاً من غير قياس، بل تشبيهاً بحروف العلة، ويأتي ذلك في القرآن في بضعة عشر موضعاً^(٦)، تسعة منها بالتاء، وثمانية بالياء، وموضعان

(١) النوى (ص ٢٦٨) مسألة رقم (٢٣٠).

(٢) راجع تفسير زاد المسير لابن الجوزي (٤/٤٧٠)، ومختصر ابن كثير (٢/٣٣٨)، وتفسير الطبري

(١٠٠/١٤)، وانظر النوى ص ٢٦٩ مسألة (٢٣٣)، والفتح (ص ٢٢٢) مسألة (١٦).

(٣) في المطبوعة (بجتهلة)، وهذا خطأ تحريف من الطابعين.

(٤) الفتح (ص ٢٢٧) مسألة رقم (٢٧).

(٥) فتح الرحمن (ص ٢٢٧) مسألة رقم (٢٩).

(٦) وردت في بعض النسخ وفي المطبوعة (بضع عشرة موضعاً)، وهذا خطأ، لأن الموضع (مذكور) وهو العود فيكون لذلك الصواب كما أوردنا (بضعة عشر موضعاً)، وليس غيره.

بالنون، وموضع بالهمزة؛ وخصت هذه السورة بالحذف دون «النمل» موافقة لما قبلها، وهو قوله: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [١٢٠].

والثاني: إن هذه الآية نزلت تسلياً للنبي ﷺ حين قُتل عمه حمزة^(١)، ومُثل به، فقال ﷺ: «لأفعلن بهم ولأصنعن»، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَكِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [١٢٦، ١٢٧]؛ فبالغ في الحذف؛ ليكون ذلك مبالغة في التسلي، وجاء في «النمل» على القياس؛ ولأن الحزن هنا دون الحزن هناك.

(١) أسباب النزول للسيوطي (ص ١٢٧)، والواحدى (ص ٢٣٤) وما بعدها.